SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.24 NO. 2 2025
DOI: 10.51984/JOHS.V24I2.3844

مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية
Sebha University Journal of Human Sciences
Journal homepage: http://www.sebhau.edu.ly/journal/johs

قلعة مرسى لك العثمانية (دراسة وصفيه أثرية)

*زهاء سعد محمد[1] و فيصل على عبد الله[2]

[1]قسم الآثار، كلية الآداب، جامعة عمر المختار، ليبيا
[2]قسم الاثار، كلية التاريخ والحضارة، جامعة السيد محمد بن على السنوسي، ليبيا

الملخص

شاع في العصر العثماني نوع من القلاع تقام عادة داخل المدن، وعند سواحل البحر القريبة من المدن وتعرف بالقلاع المتصلة بالمدن وكان الهدف الرئيس من إقامتها حماية الحكام وأتباعهم وجندهم من الأخطار الخارجية، فضلاً عن استخدامها باعتبارها وسيلة مهمة للقضاء على الفتن والاضطرابات التي قد تحدث داخل المدينة، بالإضافة إلى وظيفتها لصد هجمات العدو القادمة من البحر أو البر إذا ما حدث ذلك، وهي الدوافع التي شيدت من أجلها معظم القلاع في ليبيا. ومن هذه القلاع القائمة قلعة القيقب وقلعة توكره، فضلاً عن باقي القلاع المندثرة التي وصفها - لنا - الرحالة في مدن بنغازي ودرنة والمرج، وسنتناول في هذه الدراسة قلعة جديدة تضاف إلى القلاع السابقة هي قلعة مرسى لك. والتي تدرس للمرة الأولى بشكل أكاديمي أثرى وفق منهجية وصفية تحليلية مقارنه للوقوف على تخطيطها وعناصرها المعمارية وتحليلها ومقارنتها بغيرها من القلاع التي أقيمت في برقة لبيان أوجه الشبه والاختلاف بينها فضلا عن التوصيات التي تحتاجها القلعة للحفاظ عليها كموروث ثقافي سياحي.

الكلمات المفتاحية:

القلاع العثمانية
مرسى لك
مدينة طبرق
التخطيط المعماري
السواحل الليبية

Marsa Lick Castle (Archaeological Study)

*Zahraa Saad Mohammed[1] and Faisal Ali Abdullah[2]

[1]Department of Archaeology, Faculty of Arts, Omar Al-Mukhtar University
[2]Department of Archaeology, Faculty of History and Civilization, Sayyid Muhammad ibn Ali al-Sanusi University

ABSTRACT

In the Ottoman era, a type of castle became widespread, usually built inside cities, and on the sea coasts close to cities. They were Known as castles connected to the cities. The main goal of their establishment was to protect the rulers, their followers, and their soldiers from external dangers, in addition to be used an important means of eliminating strife and disturbances that might occur within the city. In addition to its function to repel enemy attacks coming from the sea or land if that happens, these are the motives for which most castles in Libya were built. Among these existing castles are Maple castle and Tokra castle, in addition to the rest of the vanished castles that were described by travelers in the cities of Benghazi, Derna, Al-Marg. In this study, we will discuss a new castle to added to the other castles which is called Marsa Lick castle.

Keywords:

Ottoman castles
Marsa Lak
Tobruk city
architectural planning
Libyan coasts

أهداف الدراسة:

- تقديم قلعة مرسى لك بدراسة أثرية أكاديمية لأول مرة.
- ابراز دور القلاع في إقليم برقة من الناحية الاثرية والتاريخية.
- اهمية القلعة من حيث موقعها كعنصر جذب سياحي.
- دراسة العناصر المعمارية التي تميزت بها قلعة مرسى لك من خلال التخطيط المعماري.
- لفت انظار الدارسين الى أهمية القلاع في إقليم برقة وأهميتها الوظيفية والعسكرية والحضارية.
- تهدف الدراسة الى حماية القلاع كموروث حضاري إسلامي يجب المحافظة عليه في حالات السلم والحرب.

أهمية الدراسة:

*Corresponding author:
E-mail addresses: zaha.saed@omu.edu.ly, (F. A. Abdullah) Faysil .abraheem@ius.edu.ly
Article History : Received 23 April 2025 - Received in revised form 28 June 2025 - Accepted 30 June 2025

- يستمد هذا البحث أهميته من النتائج التي يرجى تحقيقها منه للمحافظة على القلاع الإسلامية في إقليم برقة لما لها من دور اساسي وجوهري في تعزيز الشعور بالانتماء الى الهوية الإسلامية والوطنية
- دراسة قلعة مرسى لك وعناصرها المعمارية بشكل تفصيلي
- ابراز أهمية القلعة الاقتصادية والتاريخية والحربية وادخالها في التنمية المحلية كمورد جذب سياحي لتحسين الأداء السياحي بالإقليم
- تصميم مسقط افقي للقلعة لإبراز تفاصيلها المعمارية
- الإلمام بتاريخ القلعة وأهمية موقعها من الناحية الجغرافية والحربية والذي جعله موضعًا لإنشاء القلعة

مشكلة الدراسة:

تتحدد مشكلة الدراسة في قلة الدراسات السابقة عن قلعة مرسى لك ودراستها بشكل وافي وتفصيلي لعناصرها المعمارية وتخطيطها وكذلك قلة المعلومات التاريخية والمراجع والمصادر التي تتحدث عن الموقع والقلعة. كما تثار إشكالية هذه الدراسة حول مدى تمثيل قلعة مرسى لك للنمط والتخطيط الحربي الذي اعتمده العثمانيون في تشييد قلاعهم الساحلية، وما هي العناصر المعمارية التي تميزت بها هذه القلعة مقارنة بغيرها من القلاع الساحلية، ولا سيّما تلك الواقعة في إقليم برقة.

منهجية الدراسة:

لتحقيق اهداف الدراسة وتحليل المشكلة البحثية سوف يستعين الباحثان بالمنهج الوصفي التحليلي لدراسة مختلف العناصر المعمارية والانشائية للقلعة. والمنهج المقارن بمقارنتها بالقلاع الليبية وكذلك المنهج التاريخي لتتبع الجانب التاريخي للقلعة، كما سيتم تدعيم الدراسة بالصور الفوتوغرافية والمساقط الهندسية.

مقدمة:

إن بناء القلاع على السواحل الليبية كان جزءا هاما من السياسة الحربية للعثمانيين في ليبيا فبالإضافة إلى قلعة مرسى لك موضوع الدراسة، بنى العثمانيون عدد من القلاع على السواحل الليبية منها قلعة بنغازي (تشايلد،2003) وقلعة طرابلس التي أعاد العثمانيون استخدامها خلال العصر العثماني وكذلك قلعة توكره (G. Oliverio, 1931) والجدير بالذكر أن القلاع في العصر العثماني لم تكن تقتصر على الوظيفة الحربية فقط، بل كانت تؤدي مهامًا متعددة، يأتي في مقدمتها توفير الحماية والأمن لحاكم القلعة وحاشيته. كما توجد بعض القلاع التي أدت وظائف سكنية بإقامة الحاكم وأسرته فيها، بالإضافة إلى الوظيفة الإدارية المتمثلة في إدارة الحاكم لأمور المدينة من خلالها، فضلاً عن جمع الضرائب وتوفير الحماية للمدينة والسفن التجارية وغيرها من الأنشطة التي تصل عن طريق البحر.

وتكمن فرضية هذه الدراسة في معرفة ما إذا كانت قلعة مرسى لك لم تكن موجهة فقط للحماية العسكرية، بل شملت أيضًا وظائف إدارية مثل إدارة المدينة وجمع الضرائب. كما تفترض الدراسة أن العناصر المعمارية في قلعة مرسى لك تختلف وتتسم بخصائص تميزها عن القلاع الأخرى على الساحل الليبي، وخاصة في إقليم برقة.

قلعة مرسى لك

التاريخ والموقع:

يرجع تاريخ إنشاء قلعة مرسى لك إلى العصر العثماني الثاني،* أما عن موقعها فهي تتموضع في منطقة مرسى لك التي تقع شرق مدينة طبرق، في موقعًا متميزا بالقرب من البحر والميناء.

ونظرا لموقعها الهام القريب من الميناء والبحر والذي تظهر فيه أهميته من عدة جوانب؛ فهو يؤمن للقلعة خطوطها الدفاعية في حالات الحصار، ويعمل على حماية الساحل من خطر القراصنة والأعداء والتصدي لأي خطر قد يأتي من البحر، كما أن لمواقع القلاع المطلة على البحر مثل قلعة مرسى لك عدة ميزات، منها أنها تقوم من خلال موقعها بإحكام سيطرتها على كل من المدينة والميناء وشاطئ البحر، ولاسيما أن اختيار موقعها عند الميناء كان لحماية المدينة من أي خطر خارجي، كما أن الميناء يمثل محور اقتصاد المدينة ونشاطها التجاري وبوابتها حول العالم.

ويبدوا أن هذا الموقع المميز لقلعة مرسى لك العثمانية هو ما ساعد في إعادة استخدامها في فترات تاريخية لاحقة، لاسيما وأن هذا الموقع كان مركزًا هامًا في فترات الحروب التي مرت بها المنطقة، حيث استغلها الايطاليين كمركز عسكري لهم وأضافوا بعض التحويرات البسيطة على بناء القلعة بيد أنها لم تغير من طابعها الأصلي، وبعد انتهاء الحرب واستقرار الأوضاع السياسية في المنطقة خلال العهد الملكي في ليبيا أعيد استخدام القلعة للاستفادة منها لسكان مرسى لك فقد استخدمت بعض حجراتها مستشفى كما حورت بعض الحجرات بفتح مداخل لها إلى الخارج وأصبحت محلات تجارية .

التخطيط المعماري:

أما من حيث تخطيطها المعماري فهي في شكلها العام تشبه القلاع العثمانية في ليبيا، مثل قلعة القيقب التي يرجع تاريخها إلى العصر العثماني الثاني 1265هـ/ 1852م. (هاملتون، د.ت) وقلعة بنغازي.

* وذلك من خلال الزيارة الميدانية للموقع في شهر يوليو عام 2022م ومقارنة تخطيط القلعة بقلاع عثمانية أقيمت في إقليم برقة خلال العصر العثماني الثاني. ومن خلال لقائنا واستماعنا لروايات كبار السن من سكان المنطقة الأصلين ومنهم عائلة الحاج المصراتي مالكي الأرض التي أقيمت عليها القلعة كما أن مساكنهم قريبة من القلعة وقد التقينا بالحاج المصراتي عبدا لرازق عقيلة يبلغ من العمر 75عام وذكر أن هذا الموقع أخذه الأتراك العثمانيين من جده لإقامة القلعة عليه

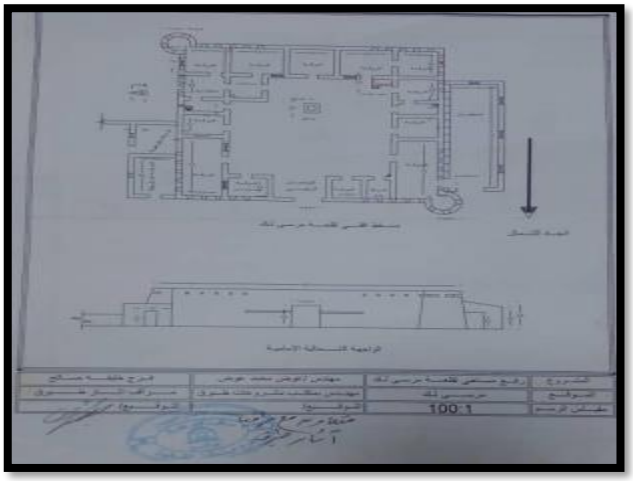

(مسقط أفقي لقلعة مرسى لك، عن مر اقبة أثارطبرق)[†]

ومن حيث التخطيط المعماري لقلعة مرسى لك فقد شيدت على ارض منبسطة، يحيط بها سور جاءت جدرانه متساوية شيدة من الحجارة التي تخللها مادة اللبن، إلا أن أسوارها كانت أكثر ثخن من الجدران الداخلية وذلك أمر معتاد في بناء العمائر الحربية لزيادة الحماية وتأمين البناء.

(اسوارقلعة مرسى لك)

وقد دعم سور القلعة برجين، الأول يقع في الركن الشمالي الشرقي للسور يقابله في الواجهة الخلفية برج ثاني في الركن الجنوبي الغربي، صممت الأبراج على هيئة ثلاثة أرباع الدائرة يقل قطرها كلما ارتفعت إلى أعلى.

(البرج الأمامي لقلعة مرسى لك)

(البرج الخلفي لقلعة مرسى لك)

ويتكون كل برج من مساحة دائرية مكشوفة (صحن)، تحيط بها ستارة لا ترتفع كثيراً عن السور، تتخللها ثلاث فتحات خصصت للمدفعيات وهي موزعة بشكل منتظم للسيطرة على الرمي في جميع الزوايا والاتجاهات، وتصل إلى هذه

[†]- عن. فرج خليفة صالح، مراقب اثار طبرق سابقا

الأبراج عن طريق سلم حديدي بزوايا الجدار المطل على الصحن، والأبراج - بشكل عام- ضخمة وقوية وصلدة لتتحمل ثقل المدافع والاهتزازات التي تحدثها عند الرمي.

(البرج من الداخل)

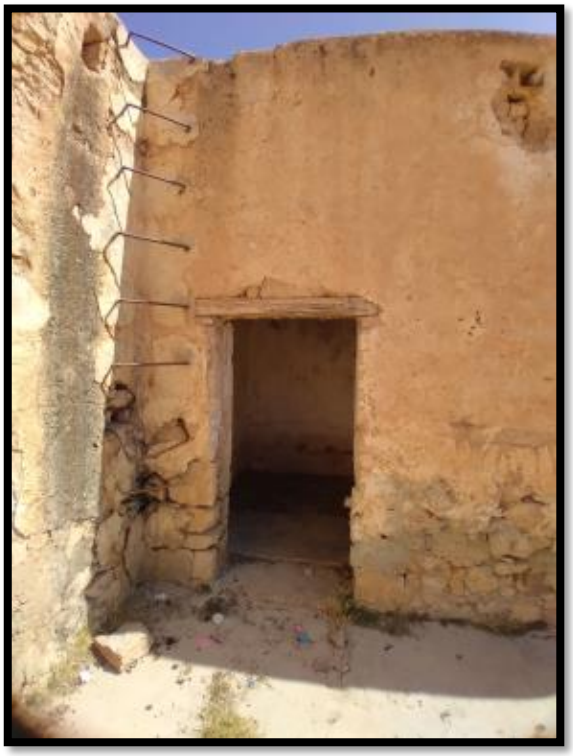

(سلم يؤدي للسطح والابراج)

ولزيادة تأمين الأسوار تنتهي من الأعلى بستارة دفاعية أو جدار ساتر؛ ليحتمي خلفها الجنود في حالة الهجوم على القلعة، ويوجد بهذا الجدار الساتر فتحات المدافع يلاحظ عليها التوزيع المنظم على الاتجاهات الأربعة للسور بحيث يوجد بكل جانب من جوانب السور الأربعة عشرة فتحات مدافع، خمسة بكل ركن من أركان السور الأربعة ومن خلال هذه الفتحات يستطيع الجنود الدفاع عن القلعة.

(فتحات المدافع والبنادق بقلعة مرسى لك)

وفي اعتقادي أن اشتمال القلعة على برجين؛ كان سببا في وجود الستارة الدفاعية لزيادة تأمين القلعة، فأصبح كامل السور يمثل نقاط للدفاع من خلال فتحات المدافع وليس فقط من خلال الأبراج الركنية، وذلك يدل على براعة المعماري الهندسية عند إنشاء القلعة؛ لزيادة تامين في جميع الاتجاهات.

والجدير بالملاحظة أن كل برج يشرف على جانب من جوانب القلعة، وفي ذلك تخطيط يعطى مراقبة كاملة للقلعة من الاتجاهات الأربعة الشمال والشرق، والجنوب والغرب عن طريق برجين فقط، ومثل هذا التخطيط يشبه إلى حد ما تخطيط قلعة بنغازي التي أنشئت خلال العصر العثماني الأول عام1049هـ /1639م والتي كانت ذات تخطيط مربع الشكل، زودت ثلاث زوايا من أسوارها بأبراج عليها مدافع، أما الزاوية الرابعة المطلة على البحر فبدون أبراج (بيتشي، 1996)

(برج لقلعة بنغازي عن ارشيف المدينة القديمة بنغازي)

وان كانت قلعة بنغازي بأبراجها الثلاث قد اندثرت، إلا أن قلعة مرسى لك تمدنا بنموذج مميز في إقليم برقة للقلاع ذات الأبراج الثنائية والتي ما تزال محافظه على تخطيطها وشكلها البنائي.

وإذا ما انتقلنا إلى تخطيط القلعة من الداخل، ولنبدأ بالمدخل الرئيس والجدير بالذكر هنا أن القلاع العثمانية الليبية تميزت مداخلها بصفة عامة بالبساطة وعدم التكلف في بناءها، وهذا ما لا حضناه في قلعة مرسى لك التي تظهر بمدخل بسيط لا يختلف كثيرا عن مداخل القلاع العثمانية في ليبيا، لاسيما برقة مثل قلعة القيقب وبنغازي وغيرها.

(المدخل والواجهة بقلعة القيقب)

(المدخل الرئيس بقلعة مرسى لك)

ويتوسط المدخل الواجهة الرئيسة وهو مستطيل الشكل بسيط لا يبرز على سمت الجدار، يؤدي إلى الصحن المكشوف والحجرات، حيث يتوسط القلعة صحن مستطيل مكشوف يوجد فيه ماجل لحفظ المياه.

(الصحن بقلعة مرسى لك)

وفي الواقع أن حفر الماجل داخل المباني خلال العصر العثماني كانت سمة متواجدة بمعظم العمائر الليبية العثمانية سواء بالعمائر الحربية أو المدنية، مثل المنازل التي تحتوي في صحنها على ماجل، كان في الغالب يستمد مياه من سطح المنزل عن طريق أنابيب تبدأ من أعلى السطح وتمتد بزوايا جدران الصحن وتنتهي عند الماجل (زهاء ،2015)، وبالفعل هذا ما وجد أيضا في جدران الصحن بقلعة مرسى لك حيث توجد في زوايا الجدران المطلة على الصحن موازيب كانت تصب بها المياه المتجمعة على السطح من الأمطار؛ وليحتفظ بها في الماجل الذي تتوسط فتحته صحن القلعة .

(فتحة الماجل بصحن قلعة مرسى لك)

أما عن الحجرات فقد اشتملت قلعة مرسى لك على 16 حجرة وقاعة ذات تسقيف خشبي مختلفة الشكل ومتفاوتة المساحات، بواقع 5 حجرات في الجانب الجنوبي و4 في الجانب الشرقي، تقابلها 4 في الجانب الغربي، و3 في الضلع الشمالي.

(الحجرات بقلعة مرسى لك)

وهذا التفاوت في مساحات الحجرات بالقلاع هو أمر طبيعي؛ نظرا لتوزيع الجنود والضباط كلا على حسب رتبته العسكرية، فضلا عن الحجرات التي كانت تمثل الجانب الخدمي للقلعة وذلك لصغر مساحتها كما تفتح على بعضها بمداخل بسيطة، وتحتوي جدرانها رفوف خشبية، كما توجد في أحد الحجرات مدخنة، تظهر فتحتها بسقف الحجرة مما يدل على أنها كانت تستخدم لطهي الطعام أو غيرها مما يخدم المقيمين بالقلعة.

والجدير بالملاحظة أن القلعة تميزت بنظام التماثل في بناءها، وذلك يظهر بوضوح في بناء أجنحتها البنائية لاسيما بين الجانبين الشرقي والغربي، ومدى مراعاة المعمار لنظام التماثل في توزيع أجنحة القلعة، أضفي عليها شيئا من الحركة وأخرجها من الرتابة والجمود.

كما تميزت حجرات قلعة مرسى لك أنها تطل بمداخلها على الصحن مباشرة دون وجود أروقة تسبقها، ونلاحظ أن خلو الصحن من الأروقة قد وجد بعدد من القلاع العثمانية، منها قلعة القيقب العثمانية التي تطل حجراتها مباشرة على الصحن والتي جاءت تشبه إلى حد كبير في أسلوبها التخطيطي والمعماري قلعة مرسى لك.

(قلعة مرسى لك)

(قلعة القيقب)

ونظرًا لإعادة استخدام القلعة في العصور اللاحقة لبنائها فقد شهدت حجراتها بعض التحويرات، وفي اعتقادي أن ذلك أمر طبيعي لأي بناء يعاد استخدامه؛ وذلك لكي يتناسب مع ما استخدم لأجله فمثلا وجد مدخل يفتح

على الخارج بالحجرة الركنية بالجانب الغربي، وبعض الحجرات تفتح على بعضها بمداخل جانبيه.

(التحويرات بحجرات قلعة مرسى لك)

وفي العصر الايطالي كان يعلو مداخل حجرات الجناح الجنوبي للقلعة قطعة خشبية نقش عليه كتابات ايطالية، كما يوجد على جدران بعض الحجرات بقايا طلاء ورسومات حديثة، إذ يذكر القائمين على القلعة أن هذه الحجرات أعيد استخدامها إلى وحدة رعاية صحية تقدم العلاج للمرضى، لاسيما من سكان مرسى لك وضواحيها وكان ذلك خلال العهد الملكي بليبيا.

(الرسومات الملونة بحجرات قلعة مرسى لك)

وتجدر الإشارة أن بعض حجرات القلعة تعرض للإهمال مما أدى إلى انهيار جدرانها، منها حجرتين بالجانب الشمالي والتي تقع على يسار الداخل ذات سقف منهار تماما.

(الحجرات المنهارة بقلعة مرسى لك)

وإذا ما انتقلنا إلى تسقيف الحجرات، فإننا سنلاحظ أنه هو أسلوب التسقيف الذي اعتاد العثمانيين استخدامه عند بناء القلاع، لاسيما في إقليم برقة وهو التسقيف الخشبي المسطح (الدراجي، 2003) بتلك الطريقة الإنشائية المتعارف عليها بمعظم العمائر العثمانية الليبية بصفة عامة، حيث يعتمد هذا الأسلوب في التسقيف على استخدام ألواح خشبية سميكة تعرف باسم (مراتك) تكون طولها بحسب المساحة المراد تسقيفها، ويتم وضعها بشكل متقاطع طولي وعرضي او تصف بجانب بعضها وذلك أيضا يعتمد على المساحات المراد تسقيفها، ثم يوضع بين تلك المراتك ألواح خشبية اصغر في السمك تستند أطرافها على الألواح الكبيرة؛ حتى تغطي جميع المساحة أجزاء المساحة المراد تسقيفها، ويلي ذلك تأتي مرحلة تثبيت هذه الألواح من الأعلى واستخدم في ذلك نوع من النباتات البحرية يعرف بتبن البحر الذي يخلط مع حصى صغيرة ويغطى بطبقة سميكة من الطين لمنع تسرب المياه، وهو أسلوب متعارف علية بمعظم العمائر العثمانية في ليبيا، سواء حربية أم دينية أم مدنية وربما فضل العثمانيين هذا الأسلوب في الإنشاء لقلة تكاليفه وتوفر مواده وسرعة إنشاءه وسهولة العمل به.

(تسقيف الحجرات بقلعة مرسى لك)

كما امتازت قلعة مرسى لك بوجود إسطبل مستطيل الشكل، يقع في الجانب الشرقي من القلعة يمتد بامتداد القلعة، بالرغم من مدخله المنهار إلا أنه لازال يحتفظ ببعض تفاصيله منها أحواض الطعام للخيل ومرابط الخيل التي تظهر بشكل واضح على الجدران

(الإسطبل بقلعة مرسى لك)

ولمواد البناء المستخدمة في بناء القلعة أهمية في معرفة أن المعماري استخدم المتوفر من مواد البناء القريبة من موقع بناء القلعة، منها حجارة كبيرة الحجم غير مهذبة يغلب عليها اللون الأحمر وأحجار جيرية بيضاء، الراجح أنهم قاموا بجلبها من الجانب الغربي لمنطقة مرسى لك والتي تعرف بالمنطقة الإسلامية والتي كانت عامرة بالمباني والقصور خلال العصر الإسلامي المبكر.

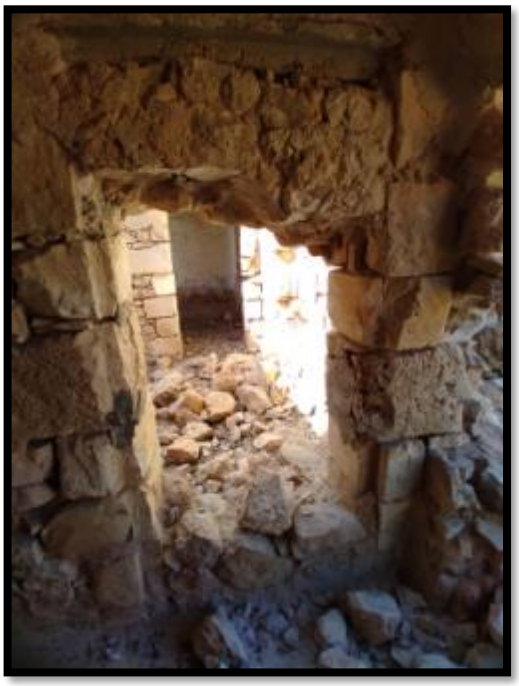

(الاحجار المستخدمة في بناء قلعة مرسى لك)

الخاتمة:

انفردت هذه الدراسة بتسليط الضوء لأول مرة على موقع إسلامي هام لم يحظ بدراسة علمية أكاديمية؛ لذلك عملنا على الاعتماد على الدراسة الميدانية للموقع ودعمه بالمساقط التي تعرض للمرة الأولى بهذه الدراسة والصور الفوتوغرافية، والقيام بتحليل عناصر القلعة الإنشائية وأسلوب بنائها ومقارنتها بقلاع إقليم برقة؛ لتوضح أوجه الشبه والاختلاف بينها وقد وضحت الدراسة الميدانية لقلعة مرسى لك أنها ترجع إلى العصر العثماني، وأن هذا البناء ظل مستخدما لفترات طويلة بعد العصر العثماني، يؤكد ذلك تلك التحويرات التي أجريت على القلعة ومن النتائج الهامة لهذه الدراسة إثبات أن قلعة مرسى من القلاع التي ما تزال محافظه على تخطيطها الأصلي، بالرغم من بعض التحويرات إلا أنها لم تؤثر في التخطيط الأصلي للقلعة.

كما توصي الدراسة بالاهتمام بالقلعة وترميمها بطريقة علمية صحيحة بحيث لا تغير في تخطيطها أو مواد بناءها، والاهتمام بها والاستفادة منها لتنمية المنطقة سياحيًا، وجعلها معلم أثرى يفتح أبوابه لكل زائر إلى المنطقة، معبره عن تاريخ مرسى لك الحافل بالمعارك على مر العصور التي تأثرت بها القلعة لتكون شاهدًا ملموسًا على تاريخ مرسى لك الإسلامي.

المراجع:

- بيتشي، هنري وفريدرك (1996). الأخوان بيتشي والساحل الليبي 1821- 1822م، ترجمة: الهادي أبو لقمة. بنغازي. منشورات جامعة قاريونس.
- تشايلد، جود (2003). تاريخ مدينة بنغازي. ط2. ترجمة: صالح جبريل. بنغازي: دار الكتب الوطنية.
- الدراجي، سعدي (2003). القلاع العثمانية في برقة (1638-1912.م). تونس.

المؤتمر العالمي الخامس لمدونة الآثار العثمانية.

- محمد، زهاء سعد (2015). العمائر الحربية والمدنية في شرق ليبيا خلال العصر الإسلامي. رسالة دكتوراه. غير منشورة، كلية الآداب. جامعة المنصورة.
- هاملتون، جيمس (د.ت). جولات في شمال إفريقيا. ترجمة: محمد الصويعي. حلب: المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية.
- G. Oliverio. (1931). Federico Halbharr in Cirenaica, - Africa Italiana
- أ. فرج خليفة صالح، مراقب أثار طبرق.
- الصور الفوتوغرافية تصوير الباحثان